مقدمة:

الحمد لله نستعينه ونستغفره ونعـوذ باللـه من شـرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهد اللـه فلا مضـل لـه ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحـده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما.

أما بعد .. فبعد عقود من تجذر الجهاد في صـميم هـذه الأمة وتـوالي الأجيـال المرابطـة في مختلـف الأمصـار بهمّـة .. لاشـك أن سـجل التجـارب الجهاديـة أضـحى زاخرا.. والعلم بأنواع النفـوس البشـرية المقبلـة بـات عميقــا.. قــد شخّصــت الأمــراض والأدواء وعــرفت العلاجات والاحترازات .. كل ذلـك يعرفـه المخـالطون لألــوان البشــر.. من مهـاجرين وأنصــار.. في ميــادين الهجرة والجهاد... ولكنه لا يـزال خافيـا أو مبهمـا لـدى الغافلين عنه والحدثاء.

وإن كان الحديث عن الأمراض في ميادين الجهاد بـاب حساس ينتقده البعض كونه فرصة سـانحة للمـرجفين لبثّ التخـذيل والتهويـل.. إلا أن النظـر في مـا ينتظـر هـذه الأمـة المسـلمة من مواجهـة واشـتداد أوارهـا.. ليدفع بالضـمير لتـدوين التشخيصـات والعلاجـات الـتي يستعين بها كل مقبل جديد ينأى بنفسـه عن السـقوط في وحل التبديل.. أو الارتداد والتراجع.. كمـا قـد تنفـع المرابطين لاستدراك ما فات والتعويض والتطعيم ضد

كـل آفـة أو مـرض للقلب قاتـل. ينقض معـه الغـزل وتنحدر معه النفس ويؤذى بـه القـريب وتتشـتت معـه الصفوف.. فيتسلل الـوهن ويضـعف الحصـن ويسـتغل ذلك الأعداء فيمكرون لتوسـيع الهـوّة وتبشـيع القـدوة وتشتيت الهمة وتنفير الأمــة ثم نبكي نحن على أطلال المجـد وهـدم بنيـان النصـر.. وهكـذا تكـون فزيولوجيـا المـرض.. ينطلـق من مرحلـة إلى مرحلـة ومن شـدة لأشد.. فإن لم يتداركه المريض بالعلاج وتتداركه رحمة الله بالإيجاب.. وإن لم يقم الدعاة بدورهم على أكمـل وجه وإن لم ينبر المصلحون بكل كدّ.. استفحل وقضى على الجسد بعد أن قضى على القلب!

ثم لا شـك أن الخلــل يقــع بــتراكم الأخطــاء وازديــاد الاختلافات .. ما يسبب بطؤا في السير وتهديــدا للأمن قد يعصف بالتضحيات والعطـاءات والإنجـازات الجمّـة فيرديها أطلالا وذكريات هشّـة .. وحين نفتش عن تلـك القلوب خلف هذا المشهد نجدها قد تشربت القسوة.. وامتهنت التهوين.. وكذا التسويف.. ومنهـا الـتي تغـرق في النقد والشكوى واللـوم فتزيـد الطين بلـة بسـلبية نكــدة.. ويتعقــد المشــهد أكــثر.. بتــدخل المــرجفين والأعداء الحاقدين فينفر الناس من المجاهدين ويســاء بهم الظنّ.. فأي علاج بعد هذا ينفع وأي نصح في اللــه أنجع!

كما قد يصعب اكتشاف المرض ذلـك أنـه مسـتخفي.. ولا تعريه إلا الأيام ومواقف الحاجـة وامتحانـات البشـر العامة والخاصة.. فيتفاجأ القوم بتبدل حـال أحـدهم أو ارتداد أخ لهم أو تراجعات لم تكن لتصـدر من صـاحب يقين مقبل على ما عند الله. أو ربما طغيان واسـتبداد قاتل يزرع الشحناء والبغضاء في نفوس المجاهـدين... أو حتى ظلم قد ينخر في بنيان الجهاد نخرا دون قدرة على صدّه لشدّة توغله وتحصنه، ولا شك أن لهـذا أثـر وإن كان الله ينقي به الصفوف ويميّـز بـه الخـبيث من الطيب إلا أنه خطر وجب التنبيـه لـه والاحـتراز منـه.. وما أهلك الغافلين إلا الاستهانة بما قد يكون عظيما!

ثم ما من عاقل يشـك في أن مضـاعفات المـرض في الفرد الواحد قد تتسبب في تأثيرات جانبية فيمن حوله يمكن أن تصـل خطورتهـا لتصـدّع الصـف الجهـادي.. تصدع يفقده تناغمـه ويزعـزع سـكينته ويسـلبه بريقـه وتألقـه.. يكـثر معـه اللغـط والجـدل.. وتتفـاقم بسـببه الفتن والمحن.. ويضـيع بـذلك الـوقت الثمين والعمـر المديد في ما لا ينفع بل يضـر! بـل قـد تصـل خطـورة الأمر أن تصبح هذه الآثار مع الإهمال أكثر فتكا بالجهاد من ضربات الأعداء الهادفة وقد يسـتعين بهـا الأعـداء ويوظفونهـا لصـالح حـربهم ضـدنا! فكم من قصـص وظّـف خلالهـا الجواسـيس تبتـدأ برصـد قلب ذلـك المجاهد المستهدف ثم استدراجه لينقلب لخائن ينقض

غزله بيده، وهذا مـا يفسـر تواجـد الأطبـاء النفسـانيين في معسكر الأعداء ويفسر تدخلهم في أغلب الأعمال الاستخباراتية ابتـداء من الاسـتجوابات انتهـاء بتوظيـف الجواسـيس وترويضـهم! دون أن ننسـى تطـويرهم لأسـاليب التعـذيب واسـتراتيجيات نشـر الفتن بين المجاهدين والمسلمين وتقـديمهم الدراسـات العميقـة للحركـة الجهاديـة ونفسـيات المجاهـدين ونظريـات الاختراق والتفريق للصفوف.

وقـد جـاء هـذا التـدوين لتسـليط الضـوء على أمـراض القلوب في الساحة الجهادية التي لاشك أن العناية بها وبعلاجاتهـا تحتـل مرتبـة ذات أولويـة في مهمـة حفـظ بنيان الحصـن الجهـادي، وبتكبـير عدسـة المجهـر نجـد الأصل في هذه الأمراض على اختلافها .. واحد دائما .. ألا وهو القلب .. ذلـك القلب الـذي كتب فيـه العلمـاء وحذّر منه الفقهاء ولخص سرّه إمام المجاهدين وخاتم الأنبياء رسول الله محمد صلى اللـه عليـه وسـلم حين قـال: "ألا وإن في الجسـد مضـغة إذا صـلحت صـلح الجسـد كلـه وإذا فسـدت فسـد الجسـد كلـه، ألا وهي القلب ".

وروى الإمام أحمد في مسنده والطبراني في معجمـه عن أبي سعيد الخدري - رضـي اللـه عنـه- قـال: قـال رسول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم: "القلـوب أربعـة قلب أجرد فيه سراج يزهر فـذاك قلب المـؤمن وقلب

أسود منكوس فذاك قلب الكافر وقلب أغلف مربــوط على غلافه فذاك قلب المنافق وقلب فيه إيمان ونفاق فمثـل الإيمـان فيـه كمثـل البقلـة يمـدها المـاء فتنبت وتثمـر ومثـل النفـاق فيـه كمثـل القرحـة يمـدها القيح والصديد فأي المـادتين غلبت عليـه ذهبت بـه.. أو كمـا قال.

والمتأمـل في هـذه الأحـاديث يجـدها تقـدم تشخيصـا دقيقــا وجامعــا لأصــل المــرض وســبب الــتراجع أو الانتكاس للنفس البشرية في كل مقام وفي كل زمان وفي جميع الأحوال التي يعيشـها الإنسـان، يقـدمها لنـا من لا ينطـق عن الهـوى بحكمـة ربانيـة تبصـر سـرائر الخلق وتدلّهم على سبيل النجاة الوحيـد، فمن تمسـك بها سلم ومن تجاهلها غرق.